اغا وقع من الموجودين واما من بعدهم فقد رتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم
ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن
المقفع والمعري والمتنبي وتطاولهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو
عنه الطباع • ونادى عليهم بالخزي والانقطاع • وصيرهم مثلة وسخرية
وضحكة الى ان تاب اكثرهم واظهر ندمه ونسكه • ولاشتمال القران على
ما لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير
ذلك من العجايب كان **كل يوم** اي وقت **تهدي** فاعلها القرآن اي توصله
وافادا التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية
تتبعها استعارة تخييلية **الى سامعيه معجزات** مر بيان المعجزة بما يتعين
الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد ها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه
حد المعجزة السابق مبتدأة **من لفظه** لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه
وغاية ايجازه مع غاية بلاغته • وبيانه مع فصاحته • وخروجه عن جنس
كلام العرب حتى صار جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح •
وكثرة اخباره الصادرة تارة عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه
من العلوم التي لا يمكن حصرها **ونقل** الامام ابن سراقة من اصحابنا ان كل واحد
من هذه رأي قوم انه سبب اعجاز القران ثم اعترضهم بانهم كلهم بالغوا في وجوه
اعجازه جزاوا احدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال اهل التحقيق
على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدها اي
واحد تحكم بل فيه غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفي
الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين اذ لا يجتمعان
غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب التي قبله فهي مفتقرة

اليه

١٤٩

اليه وهو غني عنها ومن ثم كان ابلغ في الاعجاز من سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بل معادلا للكل لان سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبيله
كثيرة كما تقرر في وجوه اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال
هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان
موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك
القران لشرفه لا يشار لشيء منه الا وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة
لمحاوله • وهدى لقايله • وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى
من كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصاير عنده **واختلف**
في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر
فاختار القاضي المنع وانما التفاوت ادراك الناس له واختار ابو نصر القشيري
وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح ليلا يخرج عن
نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقا العجز عن معارضته **القرآ**
لان من سمع الفاظ القران وتدبرها حق تدبرها علم من كل لفظ منها باعتبار
ما دل عليه امرا معجزا لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القران في الجلالة التي
مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه **تتحلى به** اي بسماعه
المسامع من التحلية بالفاظه **و** تتحلى بالفاظه **الافواه** من الحلوى فهو الحلي
راجع للاول **والحلوا** راجع للثاني **رق** اي حسن **لفظا** اي من جهته
فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او
تعقيد **وراق** اي تصفى من شوائب النقص واعجب كل ناظر فيه **معنى** اي
من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل في الاحكام ووضوح
المراد الغاية القصوى وفي رق وراق والحلي والحلوا الجناس كلاها

Copyright © King Saud University